

لسانيات النصوص.. هاهي؟

محمصاحي مختار Ph. D, M. A.

معهد الترجمة

جامعة الجزائر

كانت بداية اللسانيات الحديثة مع نشر كتاب «معارضات في اللسانيات العامة» لفريناند دي سوسور عام 1914 وهو كتاب الذي نشره إثنان من تلاميذه، بعد أن جمعا من المذكرات التي كان يلقاها على طلابه وبعض المصادر الأخرى.

ولقد إجهت اللسانيات المعاصرة منذ نشأتها الأولى وجهتين واضعتين حاولت من خلال وجهتها الأولى أن تميز نفسها عن الدراسات اللغوية التقليدية وحاولت من خلال وجهتها الثانية أن تؤسس نفسها كحركة علمية تنتمي إلى هذا العصر العلمي على النحو الذي سنوضحه بعد قليل.

ومن أجل أن تميز اللسانيات المعاصرة نفسها عن الدراسات اللغوية التقليدية، لقد إهتمتها بالعبارة والتاريخية واللاعلمية والفيلولوجية والتقارنية. وعلى الرغم من أنه ليس في الاتهامات السابقة مايجب أي دراسة لغوية، فقد آرادت اللسانيات المعاصرة أن تميز نفسها بأنها تكنسب شرعية وجودها المستقل من أنها تتميز بما هو عكس الإتجاهات السابقة، أي أنها حركة وصفية، سنكرونية، علمية وفيلولوجية أو تقارنية.

ومهما يكن من أمر، فليس لي وسعنا أن نطلق مصطلح «اللسانيات» على الدراسات اللغوية التقليدية، ذلك أن الاختلاف بين اللغويات التقليدية واللسانيات المعاصرة هو اختلاف على النهج وليس اختلافا على النتائج التي توصل إليها أي من الإتجاهين، ذلك أن كثيرا من النتائج الباهرة التي لا تقل في أهميتها عن كثير من النتائج التي توصلت إليها اللسانيات الحديثة، ولكن تلك الإتجاهات لم ينظمها تصور منهجي كما هو الشأن مع اللسانيات الحديثة.

أو لعله كان هنالك منهج ولكن التقدم لم يحققوا إثباته من منظور فلسفي أو نظري كما هو الشأن مع علماء اللسانيات في الوقت الحاضر.

الإجماع العلمي في اللسانيات المعاصرة:

لقد واجهت الدراسات الإنسانية مشاكل عديدة منذ بداية الثورة العلمية والصناعية الحديثة. وكان أهم هذه المشاكل هو الإجابة على الكيفية التي تتمسكها الدراسات الإنسانية من أجل إيجاد تبرير وجودها في العصر العلمي، وتوضيح القيمة الوظيفية والنفعية من ورائها. وكان ذلك أمراً مهماً في عصر لا يحفل إلا بما هو نفعي ووظيفي. وجاءت اللسانيات لتبشر العلوم الإنسانية بأسرها أنها قد وجدت المنهج العلمي الذي ستدرس به الظاهرة اللغوية وهو منهج لا يقل في قيمته من المنهج المستخدم في العلوم الطبيعية. وقد أطلق عليه، إسم المنهج اللغوي الوصفي. ونظراً للاستجابة السريعة لما بشرت به اللسانيات، فقد اندفع كثير من ورأسا إلى القول بأن المنهج اللغوي الوصفي هو في الحقيقة بديل للمنهج العلمي، ذلك أن العلوم والآداب كلاهما إنما هي نتاجات طبيعة للاستخدام اللغوي، ومادام أمرها كذلك فإن استخدام المنهج اللغوي في الكشف عن حقيقة هر أمر مشروع من أجل الوصول إلى تلك الحقيقة. وهذا هو الإلجاء الذي سار عليه «بروب» في دراسته للنقصة الشعبية الروسية والذي سار عليه «ليفي اشتراوس» في دراسته للظواهر الأنثروبولوجية ويرتكز المفهوم الجديد على أن الظواهر الموجودة في العالم إنما هي ظواهر متفرقة وهي تشبه في واقعها أصوات اللغة أو مقدراتها قبل دخولها في التركيب اللغوي. أي هي «حروف» phonèmes ثقافية تتطلب من يؤلف بينهما من أجل أن يجعل منها جملاً ثقافية أي ثقافات متنوعة. وهكذا اندفع كثير من العلماء، وراء هذه الفكرة السريعة وكان من بينهم «ليفي اشتراوس» الذي رأى في الظواهر الثقافية بأن ترتكز على الحروف phonèmes أو مفردات الأنثروبولوجية. وكذلك البيويون الفرنسيون الذين رأوا أنه قد حان الوقت للحديث عن علم الأدب ولم يزيدوا فيما قدموا، شيئاً سوى ماخلفوه من إرباك حين طمسوا حقيقة النقد الأدبي. وهكذا تبلورت فكرة البنية خارج المفهوم اللغوي. وهذا أمر لا نحفل به الآن لأن جل ما نهدف إليه في هذه الفقرة هو توضيح الوبخ الذي دخل فيه كثير من علماء اللسانيات حين ظنوا أنه بالإمكان إخضاع الدراسة اللغوية إلى منهج السني صارم دون أن يتركوا العنصر الإنشائي والفني أو ما يعرف الآن بمصطلح البعد الخارجي للغة Extra-Linguistics.

لسانيات الجملة:

نستطيع أن نغير الدراسات اللسانية المعاصرة بأنها دراسات «لسانيات الجملة». وذلك أن الجملة هي الحد الأقصى. الذي ذهب إليه هؤلاء الدارسون. وقد أخذت في الواقع الإجهادات التي ذهب إليها اللسانيون في دراسة الجملة ويمكننا أن نوجز هذه الإجهادات فيما يلي:

1- الإجهاد «الموسمري» البلومفيلدي:

يرى هذا الإجهاد الذي أسسه «موسور» من خلال «عبارة» المشار إليه أننا وطوّره في الولايات المتحدة الأمريكية «بلومفيلد» من خلال كتابه «اللغة». أنه بإمكان اللغوي أن يصف اللغة وصفاً متكرّراً دقيقاً حتى لو لم تكن له معرفة سابقة بها. ويستند هذا الوصف على تحديد المادة اللغوية تحديداً دقيقاً، ذلك أن المادة اللغوية إنما هي في مظهرها نظام متغلق لا علاقة له بما خارجه، وهذا هو الأساس الذي قامت عليه فكرة الشوية بأسرها.

ويتضح مصدر الخطأ فيما ذهب إليه هذا الإجهاد في أنه ليس بإمكان أحد أن يصف اللغة دون تحديد مكوناتها المنطقية ذلك أن الأصوات أو الرموز الكتابية لا تستطيع من حيث ماهي مادة أن تعكس اللغوي بما يمكنه وصف اللغة إلا إذا كان بإمكانه أن يضيف قيمة معنوية لتلك الأصوات والرموز فإذا أضاف القيمة المعنوية انهارت فكرة الشوية من أساسها لأن اللغوي حينئذ سوف ينتقل من الشية إلى ما هو خارجها وهذا ميدان ليسح الاجتهاد ويفرض على اللغوي فيرداً خاصة في وصف النظام اللغوي.

2- إجهاد النمو التقليدي التحليلي:

يرتكز هذا الإجهاد على كتابات تشومسكي بين عامي 1957-1965، فقد نشر تشومسكي في عام 1957 كتابه «التركيبات النحوية» وأتبعه عام 1965 بكتابه عناصر التركيب النحوي، الذي تطرق فيه كثيراً إلى جوانب القصور التي فاقته في كتابه الأول ويمكننا أن نقول على وجه العموم أن اتجاهات تشومسكي ساءت في مرحلته الأولى عام 1957 أو في مرحلته الثانية عام 1965 تختلف عن اتجاهات «موسور» و«بلومفيلد» الوضعية. لكن تشومسكي لم يهتم بوصف المادة اللغوية ذاتها يستخرج منها قوانين وأحكامها، بل إنجحه نحو فهم العلاقة الثنائية بين المتحدث والمستمع في مجتمع متجانس، أي القدرة التي تمكن كل فرد من إنتاج جمل صحيحة بقولها لأول مرة، وفهم الجمل التي يسميها للمرة الأولى كذلك.

ويلاحظ أن تشومسكي لم يهتم في المرحلة الأولى بالمعاني اللغوية ولكنّه اهتم في المرحلة الثانية بالمعاني ففرق بين مفهومي البنية العميقة Deep Structure والبنية السطحية Surface Structure وجعل البنية السطحية وسيلة البنية العميقة وقد سميت هذه النظرية بالنظرية التحويلية المطوّرة Extended Standard Theory. ولقد أثارت النظرية المطوّرة كثيراً من الجدل حول آراء تشومسكي وكان أهمها ذلك الرأي الذي يقول أنّ البنية السطحية هي البنية العميقة وليست وسيلة لترجمتها ويلاحظ أنّ اهتمام تشومسكي قد تركز على النواحي العقلية أو السايكولوجية، وليس على اللغة ذاتها. وذلك لكونه يعتبر اللغة فرعاً من الدراسات السايكولوجية ولأنّه يهتم بالقدرة الكامنة في عقل الإنسان والتي تمكنه من إنتاج اللغة بحيث يستطيع استخدام قواعد في إنتاج جمل غير محدودة وفهمها كذلك.

ما بعد التشومسكية:

يلاحظ أن اتجاهات كثيرة قد ظهرت في مجال اللسانيات بعد تشومسكي، وعلى الرغم من الاختلافات الواضحة بينها فيلاحظ أنّها ركزت على نحو الجملة واختلقت في استخدام المصطلحات وطريقة النظر. ولكنها لم تختلف اختلافاً أساسياً عن السوسورية اللغومفيلية إلا في جوانب طفيفة ومن أهم الاتجاهات الجديدة مايلي:

1- التاقمعية Tagmemics وهي إجهاء يتركز على كيفية ملء الفراغات المختلفة داخل الجملة النحوية.

2- الإجهاء النظامي - Systemic

ويسمى هذا المجال «بالفيريئية الجديدة» (51 - 1934) وهو تطور لأفكار «فيريث» حول السياق الموقف Context of Situation وقد قام بهذا التطوير تلميذه هاليداي (1964 - 1976). ويستند هذا الإجهاء إلى أساس أن اللغة هي نظام النظم وأنّ مهمة اللغوي أنّ يكتشف كيفية استخدام النظم على مستوى الجملة Unit والواقع Rank والنوع Class وسوف نلاحظ أنّ آراء هاليداي في مجال الدراسات النصية كانت أبلغ في مجال دراسات الجملة.

3- إجهاء المعاني الشّعبية - Stratification

وهو يشبه إلى حد كبير ماذهب إليه العرب القدماء من أنّ النحو هو مجموعة من المعاني تقود على الفعل والقاعلية والتعريفية والحرفية ونحو ذلك. وأنّ مهمة النحوي هي اكتشاف هذه العلاقات.

نظرية عامة في لسانيات الجملة Sentence Based Linguistics

وبلاحظ على وجه العموم أن الخطأ الأساسي الذي وقعت فيه لسانيات الجملة لأنها أبعدت الجوانب الإجتماعية والاتصالية من الجملة وهكذا إجهت هذه الدراسات إلى وصف الجملة دون الإهتمام بسياقتها الموقفى أو الإتصالي. وعلى الرغم من أن مثل هذا الوصف قد يكون مفيدا إذا عاتمد اللسانيون على المعاني الشكلية Formal Semantics فقد لوحظ أن كثيرا من اللسانيين قد أبعدوا «المعاني» من دراسات اللسانيات وهذا خطأ منهجي لميزت به كثيرا من اتجاهات لسانيات الجملة.

ظهور لسانيات النصوص:

لقد بدا واضحا أن لسانيات الجملة لم تعد تفي بأغراض الدراسات اللغوية الاتصالية. وكان من الضروري أن تتجاوز الدراسات اللغوية هذا المستوى للإتصال. وهكذا نشطت الدراسات اللسانية خلال الستينات في اتجاهات جديدة، مما أسفرت عنه ظهور كتاب ومقدمة في لسانيات النصوص، لمؤلفين «دوبرفاند» و«دراسر» (1981). وكان هذا الكتاب فتحا جديدا لدراسات متنوعة في لسانيات النصوص تناول فيها دوبرفاند ودراسر وغيرهم الجوانب اللغوية بينما تخصص «فاندايك» (1977) في الجوانب الدلالية ومن أشهر أعماله في هذا الإتجاه كتابه «السياق ولسانيات النصوص».

يلاحظ أن معظم الممارسين في هذا الإتجاه يصرّوا على تسمية هذا الإتجاه بلسانيات النصوص، وذلك لأنهم جميعا اتفقوا من مدارس اللسانيات التقليدية أو اللسانيات السوسورية وطورا أن اتجاههم هو تطوير للسانيات التقليدية ولم يعتبر آخرون الأمر كذلك. ذلك أن مصطلح اللسانيات هو خاص بلسانيات الجملة التي لا تتعارض دراستها المستقلة مع لسانيات النصوص بل تتكامل معها. ونظرا لأن لسانيات النصوص أو النصوية تشمل جوانب خارجة عن النواحي اللغوية الخالصة وهي ما يعرف بـ Extra Linguistics فضل بعض اللغويين أن يسمى هذا العلم الجديد «علم النصوص» وأن يحتفظ بمصطلح اللسانيات للدراسات التقليدية. وهكذا يتضح أن القول بوجود «نقد لساني» لا مبرر له لأن النقد يتصل بلسانيات النصوص وليس بعلم اللسانيات.

ماهي لسانيات النصوص؟

كان المفروض أن أتناول المراحل والخطوات التي مرت بها لسانيات النصوص قبل أن تتبلور في شكلها النهائي عند «دوبرفرايد» و«هارقان» (75 - 1978) وفاندياك (1977)، ولكن نظراً لعشيق الحيز الذي يسمح له هذا المقال فسوف أنفذ مباشرة إلى الأسس التي يقوم عليها هذا العلم.

ويبدو من الضروري في البداية أن أزيل لبساً شائعاً في الثقافة العربي، وهو الاعتقاد بأن النص لا يكون إلا في الكتابة الأدبية، وهذا وهم تأسس على خطأ تاريخي وجهل بمفهوم النص. وتلاحظ أن كثيراً من النقاد الذين يزعمون بأنهم لسانيون يصرون على أن النص إنما هو سياق تعبري في إطار التراث الأدبي وحده، فلا يعترفون «بالنصبة» إلا بفهمها الأدبي الخالص، وهذا وحده كقيل بأن يخرجهم من دائرة اللسانيات التي ينشيطون بها دون أن يعرفوا أبعادها وحدودها الحقيقية، ويخيل إلى أن المنفذ الوحيد لفهم فكرة «النص» يكمن في ضرورة التفريق بين ماهو نص وماهو غير نص وذلك أن مثل هذا التفريق يبعدنا عن الدخول في مشاهات التعريفات الكثيرة التي تجأ إليها اللسانيون في محاولتهم تعريف النص، ولا تريد في ذلك أن يقول أن ماهو غير نص هو بالضرورة كلام سخيف أو كلام يلتفت إلى معنى، ذلك أن الفرق بين ماهو نص وماهو غير نص يكمن في البعد الاتصالي وحده. ويعني ذلك أن كل قول قصد به إلى ناحية إتصالية حقيقية - سواء كانت ناحية تختص بالجانب الزدبي، أو غيره - بالضرورة نص. وأن كل قول لم يقصد به إلى ناحية إتصالية حتى لو كان له معنى شكلي فهو نص، ويتضح من ذلك أن كثيراً من الجمل الإقتراضية التي يستخدمها اللغويون لتوضيح القواعد النحوية أو وضعها لا تعتبر نصوصاً لأنها لا تخدم غاية إتصالية مباشرة، ونستطيع في ضوء ذلك أن نفرق بين اللسانيات ولسانيات النصوص، ذلك أن اللسانيات تحفل بوصف القواعد النحوية في الجمل المعزلة التي لا يشترط فيها أن تكون ذات قيمة إتصالية حقيقية بينما لسانيات النصوص تحفل بوصف الوحدات اللغوية التي يشترط فيها أن تكون ذات قيمة إتصالية، وعلى الرغم من أن النص الحديث قد لما وتطور في إطار الدراسات اللسانية، وأن اللسانيات المعاصرة قد حاولت أن تفرض نفوذها عليها، فقد بدا واضحاً الآن أن لسانيات النصوص مستقلة وغايتها واضحة ولكنها في نفس الوقت لا تتعارض مع الدراسات اللسانية التقليدية. وإذا شئنا أن نحدد الفرق بين لسانيات النصوص واللسانيات على نحو أكثر وضوحاً

فستطيع القول أن ليس النص هو مجرد جملة أكبر تطبق عليها القواعد اللسانية على أكثر وضوحا بل هو استراتيجية اتصالية شاملة تمتد خارج المجال اللساني ولذلك فهي تقوم على نحو من نوع آخر يعرف بدعوى التراكيب الكبرى - Structures - Marco وهو يختلف عن نحو التراكيب الصغرى

Micro- Structures وذلك ما سنوضحه فيما يلي:

أنواع النصوص

لقد وضع لنا أن النص هو وحدة لغوية ذات قيمة اتصالية Communicative وليس هو مجرد وحدة أسفطت على نظام الإتصال، كما يدعى بعض من يزعمون أنهم سنده التكد اللساني ذلك أن غير النص يمكن أن يسقط على نظام الإتصال من أجل توضيح فكرة اللسانيات ونستطيع في ضوء ما ذهبنا إليه أن نميز نوعين من النصوص.

أولا: النص الخفي Covert Text

والمقصود به النص الذي لا يظهر بأكمله في التعبير اللغوي ومثاله عبارة « ممنوع التدخين » التي تجددها في محطات المحروقات والمقصود بها هو أن هذا المكان مكان لتخزين المحروقات، ونظرا لتأجيلتها العالية للأشغال نمرجى عدم إشعال النار حتى لا يتسبب ذلك في خطر الحريق ونظرا لأن سائر تلك المعاني قد أصبحت مفهومة لدى سائر الناس فلم تعد هناك حاجة إلى ذكرها، واكتفى بدلا بعبارة « ممنوع التدخين ».

ثانيا: النص الظاهر Overt Text

وهو النص العادي. ونظرا لأن النص في الخطاب الإتصالي قد يتكون من كلمة أو جملة أو عدة جمل فأرى أن نحفل بالنصوص الطويلة لأنها توضح لنا سائر القطاها التي تعرضت لها لسانيات النصوص الحديثة. ويعني ذلك أننا لن نحفل بالنصوص الخفية بل سنحفل بالنصوص الظاهرة وهي التي تتكون من عدة جمل. وذلك حتى نتمكن الفرق بينها وبين غير النصوص التي هي أساس اللسانيات.

وبلاحظ أنني لن أتعرض في هذه الفقرة إلى أنواع النصوص من زاوية المنظور الذي ينقسم النصوص إلى سردية وجدلية ومتداخلة. ولن أتعرض كذلك إلى النصوص من حيث هي أدبية وغير أدبية، وسأكتفي بالحديث عن النصوص من الزاوية المطلقة.

نستطيع القول أن النصوص الظاهرة تقوم على نوعين من أنواع الترابط Connectivity النوع الأول هو الترابط والتناسق النحوي، والثاني هو الترابط «الفكري» أو الترابط المعنوي Conceptual Connectivity إلى الموقف الإنشائي الذي تتحدد من خلاله القيمة المعنوية للنص. ويمكننا أن نلخص الأسس الكامنة التي تقوم عليها سائر النصوص في المقولات التي ذهب إليها «دوبراند» في كتابه «مقدمة في تاريخ لسانيات النصوص» (1981) وهذه الأسس هي:

أولاً: الترابط النقي: Cohesion

وعني بذلك أن كل النص يجب أن يكون مترابطاً نسياً. أي أن يكون خاضعاً للقواعد النحوية المتعارف عليها، وأن ترتبط الوحدات الصغيرة بالوحدات الكبيرة من خلال أدوات الربط والضمائر الراجعة أو المستقلة ونحو ذلك. حتى تستطيع هذه الوحدات أن تسهم في بناء النص الكبير وخلق ماسمى بالعلاقات الجمالية الكبرى

Supra - Sentential Relation .

ثانياً: الترابط التكاملي: Coherence

ويقصد بهذا النوع من الترابط، أن يكون النص مترابطاً من حيث المعاني والأفكار الواردة فيه ويختلف هذا النوع عن الترابط النقي من حيث أن النص قد يكون مترابطاً من الناحية النحوية ولا يكون مترابطاً من الناحية الفكرية. ويبدو من ذلك أن الترابط التكاملي يأخذ في اعتباره القيمة «السيمولوجية للنص» ذلك أن النص المترابط ارتباطاً تكاملياً يأخذ في اعتباره النظام السيميولوجي الذي يستخدمه نوع النص سواء كان ذلك النص أدبياً أو غير أدبي.

ثالثاً: القيمة المعلوماتية: Informativity

يهدف كل نص من النصوص إلى أن يقدم بعض المعلومات لقارئه أو سامعيه، وتختلف طريقة وضع المعلومات في النص بحسب نوع النص. ويلاحظ أن كمية المعلومات التي يحتوي عليها النص تقل حين يتجه النص إلى التعبير الأدبي، وتصل المعلومات إلى أدبي مستوى لها حين يكون النص قصيدة شعرية جيدة، ذلك لأن القصيدة الشعرية قد تقوم على فكرة تتعشها كلمة واحدة أو عبارة واحدة ويكون ما في القصيدة مجرد توسعة للفكرة الأساسية وكذلك الأمر

ولكن بدرجة أقل في الكتابة الروائية، إذ يستطيع أدب أن يكتب لنا قصة «مجنون ليلى» التي يمكن أن نجعلها في خمسة أسطر أو في خمسمائة صفحة ويكون ذلك حشواً وظيفياً Functional Redundancy وإذا كان الحشو الوظيفي مقبولاً في الأعمال الأدبية فهو غير مقبول في الأعمال غير الأدبية، لذلك يجب أن يوزع المتحدث أو الكاتب المعلومات في النص بحيث لا يكون فيها قصور أو زيادة تخل بالتسلسل العام للنص.

رابعاً: الموقفية: Situationality

ويتطابق هذا الأساس من أسس بناء النص مع الثقولة البلاغية القديمة، لكل مقام مقال، ذلك أن النص يجب أن يكون مطابقاً لمقتضى الحال. وقد طوّر هذا المفهوم إلى درجة كبيرة «هالدي» و«رقية حسن» (1976) في نظرية «الريجستر» Register المعروفة وتعني نظرية الريجستر بإختصار شديد ضرورة أن يكون النص متساوياً مع الموقف ونوعية المشتركين في الخطاب. فلا يكتب الطبيب على الوصفة الطبية قصيدة فكاهية، أو أن يغني رئيس الجمهورية في حفل مكافأة العمال الممتازين، ذلك أن الخروج على الأنماط والأعراف المتعارف عليها يذهب بمصداقية الكلام، ويخرج بالنص عن مقتضى الحال.

خامساً: القبولية: Acceptability

ويعني هذا الأساس أن يكون النص مقبولاً لدى متلقيه. فلا يشعر أن فيه قصوراً أو نقصاً أو تشويهاً من حيث الأسس العامة التي يقوم عليها النص.

سادساً: تداخل النصوص: Intertextuality

ويجب أن تلق عند هذه القيمة موقف الحذر، تلك أن كثيراً من الذين تعرضوا لها لم يفهموها الفهم الصحيح، وطمروا أن تداخل النصوص يعني أن كل نص ينتجه الإنسان هو تكرار لما أنتجه الآخرون من قبل وأن الاختلاف بين النص الجديد والنصوص القديمة هو اختلاف في الشقفة فقط، وليست وجهة النظر هذه سليمة بحال من الأحوال، وذلك أن الذي أوجب الإهتمام بفكرة تداخل النصوص هو محاولة معرفة الكيفية التي ينتج بها المتحدثون نصوصاً جديدة * ويستقبلون بها نصوصاً لم يسمعوها من قبل. وهذا هو نفس المبحث الذي تأسس على مفهوم «القدرة» عند تشومسكي. وهو المفهوم الذي يعرف في اللغة الإنجليزية بـ COMPE- TENCE وإذا كان الناس يختلفون حول مفهوم القدرة الذي أتى به تشومسكي، فهم في

اعتقادي لا يختلفون حول كثير من الأسس والمبادئ التي أتت بها لسانيات النصوص، ذلك أن لسانيات النصوص قد أوضحت بصورة جلية أن النصوص لا تختلف عن بعضها بعضاً في مستوى الشفرة فحسب، بل هي تختلف في طبيعة المعلومات التي تحملها، والمواقف التي تعبر عنها أو القيم الأسلوبية التي تمثلها، والفرص الإتصالي الذي تخدمه، ويبدو واضحاً أن اللسانيات السوسورية لم تكن لتفسر هذه الجوانب تفسيراً كاملاً، وذلك ما جعل كثيراً من النقاد يتصورون خطأ أن مفهوم تداخل النصوص يعني شيئاً واحداً وهو تقصص النصوص لبعضها بعضاً، وتلك فكرة خرافية تناغي طبيعة المواقف المتغيرة التي تعبر عنها النصوص عن غيرها من النماذج اللغوية التي لا تعتبر نصوصاً بحسب تعبيرنا.

وإذا عدنا لنسأل مالمقصود إذن بمفهوم تداخل النصوص، كانت الإجابة هي ماذهب إليه محمد بن سلام الجصحي في كتابه «طبقات فحول الشعراء» مما أساء مفهوم «الدرة» ويعني بها الخيرة، أي أننا نؤلف النصوص الجديدة ونلهم النصوص التي نسمعها أو نقرأها لأول مرة بواسطة الخيرة التي تكونت لنا من خلال تعاملنا مع النصوص التي سمعناها من قبل مضافة إلى المواقف التي نحمد عليها... ويبدو أن هذا المفهوم كان واضحاً تمام الوضوح لدى العرب القدماء. فقد قرأنا أن والية بن الحباب طلب من تلميذه أبي نواس أن يحفظ أربعة عشر ألف بيت من الشعر قبل أن يبدأ في النظم فلما حفظها وعاد إليه طلب منه أن ينساها. ولم يكن هدفه من ذلك سوى لتحقيق الخيرة أو الدرة التي تمكن الشاعر من فهم مآقائته العرب ونظم شعره على طريقتهن.

لقد تحدثت فيما سبق عن الأسس التي تقوم عليها النصوص سواء كانت تلك النصوص أدبية أو غير أدبية، ولا أعتبر أن مذكرته شاملاً لما يجب أن نعرفه في هذا الباب، لأن الدارس لسانيات النصوص يحتاج إلى معرفة الطبيعة التعاقدية بين مرسل النص ومستقبله إذ بدون هذه الطبيعة لا يمكن للإتصال اللغوي أن يحقق أغراضه. كما يحتاج الدارس إلى معرفة كيف يطور المرسل نصه حتى يصل به نقطة النهاية وهي التي تسمى باللغة الإنجليزية Threshold of Termination وهي نقطة يعتبر انتهاء النص قبلها ناقصاً وإنهاءه بعدها حشواً وزيادة. وبقوة ذلك كله إلى معرفة أنواع النصوص المختلفة التي تتولد عن الطبيعة التعاقدية بين مرسل النص ومستقبله كما يقود إلى التفريق بين النصوص الأدبية وغير الأدبية، ولكن كما أسلفت لا يمكن أن أشمل ذلك كله كلمة في مقال مختصر كهذا.

الخلاصة:

ويبدو واضحا بما ذهبت إليه في هذا المقال، أن اللسانيات شيء، ولسانيات والنصوص شيء آخر. ولا يعني ذلك أنه لا علاقة بينهما. ذلك أن اللسانيات شيء نافع في دراسة الجمل المفردة خارج سياق الإتصال. ولما كانت النصوص تتكون من الجمل فقد أصبح من الضروري الإهتمام باللسانيات عند هذا المستوى مع الاعتراف في ذات الوقت بأن النصوص ليست مجسمة مترجمة من الجمل، وإنما هي وحدات إنصالية تقوم على الأسس والمقدمات التي ذكرتها سابقا وهي من هذا المنظور تتعلق بالواقع البراغماتي وكل ما نفهمه من مصطلح

Extra-Linguistics أي خارج النطاق الأسنسي. ولقد حاولت في سياق هذا المقال أن أوضح أن مفهوم النص لا يقتصر على النصوص الأدبية فحسب. ذلك أن أي وحدة لغوية تخدم غرضا إنصاليا هي في واقعها العلمي نص من النصوص ويبنى على مذهبته إليه أن القول بأن هنالك نقد أسنسي هو خرافة من الخرافات ذلك أن اللسانيات تختص بالجانب النحوي وحده لا تتجاوزوه إلى خارج ذلك وكل ما عدا هذا اللهم هو إدعاء لا يقوم على أساس علمي سليم.

المراجع

Beaugrande R. de à Dressler W. (1981) Introduction to text Linguistics
Longman;

London and new York.

Chomsky N. Aspects of the Theory of Syntax N. I. T. Press Cambridge
(1965)-

Halliday M. A. K. (1970) "Language Structure and language Function, in
Horizons in linguistics, penguin. - Lyons, ed: New-

Halliday M. A. K. and Hasan R. (1976) Cohesion in English, Longman

Saussure F. de (1959) Course in General Linguistics Me Graw
Hill,

- تاريخ البلاغة العربية - عبد العزيز غليق دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت،
لبنان.